

عناية الإمام العيني بعلوم القرآن في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري
 Imam al-Ayni's attention to the sciences of the Qur'an in the book "Umdat
 al-Qari Sharh Sahih al-Bukhari

ISRAA MAHMOOD EID*

Geliş Tarihi/Received: 09.08.2022

Kabul Tarihi/Accepted: 23.11.2022

الملخص:

كان للمحدثين اهتمام كبير بعلوم القرآن؛ لما لها من أثر كبير في فهم نصوص الحديث الشريف، ومن أبرز من استعان بعلوم القرآن الإمام المحدث بدر الدين العيني (ت 855هـ) في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري، فقد أشار في شرحه هذا لعلوم كثيرة من علوم القرآن، منها: أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن، فعرض الأقوال المختلفة في ذلك وعقب على بعضهم بالحجة، كما وفق بينهم، وذكر نزول القرآن على سبعة أحرف، وقد فصل في معنى الأحرف السبعة، وحصر المعنى في عشرة أنواع، ونهج العيني عند استفتاحه أبواب السور أن يذكر اسمها، وأصل التسمية، وكونها مكية أم مدنية، وذكر الآيات المستثناة من ذلك، كما يذكر عدد حروفها وكلماتها وآياتها، وأحياناً يذكر بعد أي سورة أنزلت وقبل أي سورة، كما تكلم العيني عن علم الفواصل واتساقها والسجع فيها، وتطرق إلى ترتيب سور القرآن، كما أولى عناية بالغة بأسباب النزول؛ لأنها من بيان القرآن بالشئنة، واهتم بذكرها وتفصيلها الصحيح منها والضعيف، كما ذكر المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد؛ والمشكل؛ وظهر ذلك في تفسير الآيات القرآنية وشرح الأحاديث، وبيان مقصد الراوي، كما اهتم بالرسم العثماني، والتجويد، والقراءات، والتفسير، وغيرها، وقد تعددت مصادره وتنوعت، واستقى من مصادر كثيرة لإثراء كتابه. ومن أهم ما توصل إليه البحث سعة علم العيني، ووضوعه في علوم القرآن، وتنوع مصادره، وإيراده الأقوال المختلفة في المسألة الواحدة والرد عليها والتوفيق بينها بالدليل، كما إن لعلوم القرآن ارتباط وثيق بفهم الحديث الشريف، فكثير من الأحاديث تحتاج لعلوم القرآن ليفهم المعنى الصحيح المراد منه.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن، الحديث الشريف، العيني، عمدة القاري، عناية.

* إسرائ محمود عيد

أستاذة في جامعة ماردين آرتوقلو، كلية العلوم الإسلامية، ماردين / تركيا

Dr. Öğr. Üyesi. İsraa Mahmood Eid, İslami İlimler Fakültesi, Tefsir ve Kıraat Bilim Dalı, Mar-
 din Artuklu Üniversitesi. e-mail: israaeidd@gmail.com

<https://orcid.org/0000-0002-9102-6665>

Öz: Muhaddisler Kur'an ilimlerine büyük bir önem vermişlerdir, öyle ki bu ilimlerin hadis metinlerinin anlaşılmasında önemli bir tesiri olmuştur. Kur'an ilimlerinden istifade eden kitapların başında imam Bedrüddîn el-Aynî'nin (ö. 855 h.) *Umdetü'l-kârî şerhi Sahîhi'l-Buhârî* kitabı yer almaktadır. Aynî şerhinde Kur'an ilimlerinin bir çoğundan istifade ettiğini belirtmiştir. Bunlardan bazıları şu şekildedir; Kur'an'da ilk ve son inen ayetler ve bu konu hakkında ki farklı görüşlerin arz edilmesi ve bunlardan bazı görüşlerin delil aracılığı ile yorumlanmaları, Kur'an-ı Kerim'in yedi harf üzere inmesi gibi konulardır. Bununla birlikte Aynî yedi harfin anlamını ayırmış, bu anlamları ise on grupta sınırlı tutmuştur. Ayrıca sure bablarının başında surelerin isimlerini, isimlendirmenin aslını, surelerin mekki ya da medeni oluşları, ayetlerin harf, kelime ve ayet sayılarını zikretmiştir. Aynî aralıklarla surelerin hangi sureden önce ya da hangi sureden sonra indirildiğinden ya da fasıla, ahenk ve kafiye ilimlerinden ve surelerin tertibinden bahsetmektedir. Kur'an sünneti açıklamada etkili olduğu için Aynî, sebeb-i nüzul'a oldukça önem vermiştir. Bundan dolayı kitabında zayıf ve sahih hadislerin açıklanmasında, muhkem ve müteşabih, nasih ve mensuh, âm ve has, mutlak ve mukayyed ve müşkil gibi konuları ele almıştır. Bununla birlikte kaynaklarının sayısını artırmış ve metnin zenginleşmesi için birçok kaynaktan istifade etmiştir. Bu araştırmanın en önemli yanlarından birisi Aynî'nin ilmi kapasitesini bize göstermiş olması, Kur'an ilimlerine olan katkısı, edindiği kaynakların çeşitliliği ve bir mesele hakkında farklı görüşleri zikretmiş olup, bu görüşlere cevap vererek delil ile bu fikirleri bizlere ulaştırmış olmasıdır. Ayrıca Kur'an ilimlerinin hadislerin anlaşılmasında önemli bir yeri bulunmaktadır. Zira birçok hadis kastedilen mananın anlaşılabilmesi için Kur'an ilimlerine ihtiyaç duymaktadır.

Anahtar Kelimeler: Kur'an-ı Kerim ilimleri, Hadis-i Şerif, Katkı, Aynî, Umdetü'l Kârî.

Abstract: The hadiths' scientists had a great interest in the sciences of the Quran to better understanding the noble hadith's texts. Of these is the Imam Badr Al-Din Al-Ayni (died in 855H), in his book *Umdat Al-Qari Sharh Sahih Al-Bukhari*. He referred in his book to many sciences and sciences of the Quran were among them. For example, the duplicator and the copied, the Makki and the Madani categorization, reasons of descent, Ottoman calligraphy, Tajweed, the readings, interpretation, general and specific, the first and the last of what was revealed from the Quran, the revelation of the Quran in seven letters, number of letters, words, and Ayahs in the Surah, the arrangement of the Surahs in the Quran, and other sciences of the Quran.

Among the most important findings of the research is the breadth of the science of Badr Al-Din Al-Ayni, and his involvement in the sciences of the Quran. It also shows the diversity of his sources, and his presentation of the various sayings in the same issue and responding to them and reconciling them with evidence. As the sciences of the Quran are closely related to the understanding of the noble hadiths, many of the noble hadiths need the sciences of the Quran to understand the correct meaning intended. from it.

Keywords: Holy Quran's sciences, noble hadith, Al-Ayni, Umdat al-Qari, attention.

المقدمة

تتميز العلوم الإسلامية بالترابط والتداخل والتكامل، كما تميز العلماء المسلمون عبر التاريخ بتنوع علومهم وتعدد فنونهم، فلم ينهلوا من علم واحد، بل برعوا في علوم عدة، ومن أبرزهم الإمام بدر الدين العيني شارح صحيح البخاري المحدث اللغوي النحوي الفقيه، فبعد أن سطع اسمه بين كبار المحدثين نجده قد برع في علوم القرآن كذلك، تجلّى ذلك في كتابه العظيم عمدة القاري شرح صحيح البخاري، والذي نال شهرة كبيرة بين طلاب العلم والباحثين.

أهمية البحث:

وجاء هذا البحث ليُبرز علمًا جديدًا للعيني إضافة لعلم الحديث، ويُبين براعته في علوم القرآن وضلوعه فيه، ويُسلط الضوء على علوم القرآن التي ذكرها؛ ليظهر جليًا أن المحدثين ليسوا بمعزل عن القرآن وعلومه، بل إن لهم فيها صولات وجولات.

مشكلة البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة عن بعض الأسئلة بمثل:

- 1- هل كان للإمام العيني المحدث عناية بعلوم القرآن في كتابه العمدة؟ وما حجم ذلك؟
- 2- هل استعان شُراح الحديث بعلوم القرآن؟ وما منهجهم بالاستعانة بها؟
- 3- ما أهم علوم القرآن التي يمكن أن يتطرق لها شُراح الحديث؟

الدراسات السابقة:

1- (بدر الدين العيني ومنهجه النحوي في كتابه عمدة القاري)، للطالب: موسى أبو جليدان، وهي رسالة ماجستير في كلية الآداب، بالجامعة الإسلامية بغزة، سنة 2009هـ، وقد تكلم الباحث عن الجوانب النحوية واللغوية ولم يتطرق إلى علوم القرآن.

2- (دلالة النهي عند الإمام بدر الدين العيني من خلال كتاب عمدة القاري في فقه العبادات)، للطالبة: ولاء هاشم، وهي رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية، في جامعة القاهرة، سنة 2017هـ، وقد تطرقت الباحثة إلى النواحي الفقهية ولم تتطرق إلى علوم القرآن فيه.

3- (معالم المنهج اللغوي في شرح الحديث النبوي عند الإمام العيني من خلال كتابه عمدة القاري)، للطالب: ابن يوسف شتيح، وهي رسالة دكتوراه في الأدب العربي، سنة 2014هـ، تحدث فيه عن التحليل النحوي والمعجمي والصرفي، ولم يتطرق إلى علوم القرآن.

منهج البحث:

وقد اتبعت في بحثي هذا المناهج الآتية:

- 1- المنهج الاستقرائي: حيث اتبعته في استقراء كتاب عمدة القاري للبحث عن علوم القرآن فيه.
- 2- المنهج التطبيقي: اتبعته في تناول ذكر النماذج التطبيقية من علوم القرآن التي ذكرها العيني.
- 4- المنهج الوصفي: اتبعته في وصف ما أورده من علوم القرآن، وعلاقة الروايات بعضها ببعض.

1. ترجمة الإمام العيني

اسمه: "مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُوسَى بنِ أَحْمَدَ بنِ حُسَيْنِ بنِ يُوسُفَ بنِ مُحَمَّدِ البُدْرِ بنِ الشَّهَابِ الحَلَبِيِّ الأَصْلُ العَنَابِيُّ المولِدُ ثَمَّ القَاهِرِيُّ الحَنَفِيُّ"¹.

نسبه: وَيُعرفُ بالعيني².

كنيته: أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو الثَّنَاءِ.

لقبه: "بدر الدين"³.

مولده ونشأته: "مولده يعينتاب في سنة 762هـ، ونشأ بها"⁴.

تربى الإمام العيني في بيت علم ودين وصلاح، فقد كان أبوه وجده قاضيين، وقد وجهه أبوه لحفظ القرآن الكريم وتعلمه وهو صغير، وأول من قرأ القرآن عليه هو محمد بن عبيد الله (الشارح للمصابيح)، وقد رحل في طلب العلم إلى حلب أولاً، ثم رحل إلى مدن كثيرة، وحج بيت الله الحرام، ثم رحل إلى دمشق، وبيت المقدس، والقاهرة، يقصد علماءهم لينهل منهم العلم.

¹ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، 1312/10.

² السخاوي، الضوء اللامع، 216/11.

³ يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر: دار الكتب، د.ت)، 8/16.

⁴ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 8/16.

وقد ناب رحمه الله عن والده في القضاء، وتقلد وظائف دينية رئيسية في دولة المماليك بمصر مثل: الحسبة، والقضاء، ونظر الأحباس، وأملاك الأوقاف، وقد تولى هذه المناصب وعُزِلَ منها عدة مرات، ولم تجتمع لأحد قبله في وقت واحد كما جُمعت له⁵.

مُصنّفاته: ومن أبرز مصنّفاته: "البناية في شرح الهداية، ورمز الحقائق شرح كنز الدقائق، وشرح معاني الآثار للطحاوي، وكتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري، وفرائد القلائد في مختصر الشواهد، والمقاصد النحوية، وغيرهم كثير"⁶.

وفاته: عمّر العيني ثلاثاً وتسعين سنة، وانتقل إلى جوار ربه "سنة 955هـ"⁷.

2. علوم القرآن التي ذكرها الإمام العيني في كتابه عمدة القاري

عرّف الإمام السخاوي علوم القرآن فقال هو: "علم يخدم القرآن الكريم، ويتصل به، ويستند إليه، وينتظم ذلك علم التفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم إعجاز القرآن، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن وعلم القراءات، وعلم عد الآي وفواصلها، وعلم الرسم العثماني، وعلم الدين من فقه وتوحيد وغيرهما، وعلم العربية من نحو وبلاغة وسواهما، المباحث المتعلقة بالقرآن من ناحية مبدأ نزوله، وكيفية هذا النزول، ومكانه ومدته، ومن ناحية جمعه وكتابه في العصر النبوي، وعهد أبي بكر وعثمان، ومن ناحية إعجازه وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وأقسامه وأمثاله، ومن ناحية ترتيب سوره وآياته وترتيبه وأدائه إلى غير ذلك"⁸.

وقد أورد العيني في شرحه عدة أنواع من علوم القرآن؛ دلالة على سعة علمه وإطلاعه، وفهمه الثاقب بمختلف علوم الشرع، ولكنه لم يذكرها كلها لأنها كثيرة ومُتَشَعِّبة وكتابه كتاب حديث، ومن أبرز العلوم التي ذكرها:

⁵ يُنظر: السخاوي، الضوء اللامع، 131/10. محمد بن محمد الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م)، 375-376.

⁶ يُنظر: السخاوي، الضوء اللامع، 134/10 - 135.

⁷ السخاوي، الضوء اللامع، 133/10.

⁸ علي بن محمد السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، (بيروت: مؤسسة الكتب، 1999م)، 11/1. محمد بن عبد

الله ابن العربي، تمانون التمانين، (جدة: دار القبلة، 1986م)، 540.

1.2. أول ما نزل من القرآن

إن معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن له أهمية في التعرف على "تاريخ التشريع الإسلامي، ومراقبة سيره التدريجي، والوصول من وراء ذلك إلى حكمة الإسلام وسياسته في أخذه الناس بالهودة والرفق، والبعد بهم عن غوائل الطفرة والعنف، سواء في ذلك هدم ما مردوا عليه من باطل، وبناء ما لم يحيطوا بعلمه من حق"⁹، وهو يُظهر مدى عناية المسلمين بكتابهم العزيز من خلال الإحاطة بكل جوانبه ودقائقه.

وقد ذكر العيني في مواضع مختلفة من كتابه أول ما نزل من القرآن حيث قال في باب (كيف بدء الوحي): "إن أول ما نزل من القرآن اقرأ و {يا أيها المدثر}"¹⁰، ثم أيد قوله في موضع آخر بحديث محمد بن عباد المخزومي: "أنه سمع بعض علمائهم يقول كان أول ما نزل الله على رسوله {اقرأ باسم ربك الذي} إلى قوله {ما لم يعلم} قال هذا صدر ما أنزل على رسول الله يوم حراء ثم أنزل آخرها بعد ذلك"¹¹، ويعضد رأيه أيضاً بحديث عائشة الذي يتحدث عن أول نزول الوحي، فقال العيني: "دليل للجمهور أن سورة {اقرأ باسم ربك} أول ما نزل"¹².

ثم يعرض العيني الأقوال المخالفة في تفسير سورة المدثر أن ابن البطال يرى أن سورة المدثر "أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن"¹³، ويعرض أيضاً حديث يحيى بن أبي كثير قال: "سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال: يا أيها المدثر، قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله قال: جاورت بحراء فلما قضيت جوازي... قال فنزلت: {يا أيها المدثر قم فأندر...}"¹⁴.

وتعقب العيني هذا الحديث فقال: "وقول من قال أن أول ما نزل {يا أيها المدثر} محمول على أنه أول ما نزل بعد فترة الوحي، وأبعد من قال أن أول ما نزل الفاتحة، بل هو شاذ"¹⁵.

⁹ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3 (مصر: مطبعة عيسى الحلبي، د.ت)، 92/1.

¹⁰ محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت)، 12/1.

¹¹ العيني، عمدة القاري، 60/1.

¹² العيني، عمدة القاري، 62/1.

¹³ العيني، عمدة القاري، 175/3.

¹⁴ العيني، عمدة القاري، 265/19.

¹⁵ العيني، عمدة القاري، 62/1.

وقال أيضًا في الرد على حديث جابر أعلاه: "والجمهور على أن أول ما نزل هو {اقرأ باسم ربك} وفي هذا الحديث استخرج جابر ذلك عن الحديث باجتهاده وظنه، فلا يعارض الحديث الصحيح المذكور في أول الكتاب الصريح بأنه اقرأ، أو تقول إن لفظ: أول من الأمور النسبية، فالمدثر يصدق عليه أنه أول ما نزل بالنسبة إلى ما نزل بعده"¹⁶، فبين سبب التعارض، وشرح المقصود من حديث جابر.

ثم يحاول العيني الجمع بين الروايات والتوفيق بينها فقال: "يمكن أن يقال أول ما نزل من التنزيل في تنبيه الله على صفة خلقه (اقرأ)، وأول ما نزل من الأمر بالإندار {يا أيها المدثر}، وذكر ابن العربي عن كريب قال: وجدنا في كتاب ابن عباس أول ما نزل من القرآن بمكة اقرأ والليل ونون ويا أيها المزمّل ويا أيها المدثر وتبت... ثم ذكر سورا كثيرة، ونزل بالمدينة ثمانية وعشرون سورة وسائرهما بمكة"¹⁷.

خلاصة القول: إن الإمام العيني يرجح قول الجمهور بأن أول ما أنزل هو "اقرأ باسم ربك الذي خلق" وبعدها أنزلت المدثر، وذكر الأدلة التي تؤيد هذا الرأي، ورد قول المعارضين بالحجة والبرهان، وحاول التوفيق بين حديث جابر والأحاديث الصحيحة الأخرى، وحديث عائشة أيضًا، علمًا أن هذا العلم قائم على النقل والرواية ولا مجال فيه للعقل إلا عند الجمع بين الأدلة أو الترجيح بينها.

والقول بأن أول ما أنزل (اقرأ باسم ربك) هو قول: "عائشة رضي الله عنها، ومجاهد، وعطاء ابن يسار، وعُبيد بن عمير، وأبي رجاء العطاردي"، ويؤيده الزركشي في البرهان¹⁸، وأبو بكر الباقلاني في الانتصار¹⁹، والسخاوي في جمال القراء²⁰.

2.2. آخر ما نزل من القرآن:

ذكر العيني في مواضع عديدة في شرحه آخر ما نزل، ويعرض الأقوال المختلفة في ذلك ويعقب على بعضها، كما يوفق بين بعضها وبعضها الآخر.

¹⁶ العيني، عمدة القاري، 265/19.

¹⁷ العيني، عمدة القاري، 62/1.

¹⁸ محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: دار إحياء الكتب، 1957م)، 207/1.

¹⁹ محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، الانتصار للقرآن، (عمّان: دار الفتح، 2001م)، 240/1.

²⁰ السخاوي، جمال القراء، 39.

فبعد تفسير قوله تعالى: "فإن تابوا وأقاموا الصلاة..." قال العيني: "روي عن أنس أن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن"²¹، وقال أيضاً: "لا سيما وبراءة من آخر ما نزل"²².

وفي باب مُوكل الرِّبَا عند قوله تعالى: "واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله" [البقرة: 281/2]: قال العيني: "قال ابن عباس: هذه آخر آية نزلت على النبي، هذه إشارة إلى آية الرِّبَا"²³.

ثم يجمع العيني بين القولين ويحاول التوفيق بينهما فقال: "وقال ابن التين عن الداودي عن ابن عباس: آخر آية نزلت {واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله}. قال: فإما أن يكون وهم من الرواة لثربها منها، أو غير ذلك. انتهى. وأجيب: بأنه ليس بهم، بل هاتان الآيتان نزلتا جملة واحدة، فصح أن يقال لكل منهما آخر آية"²⁴.

وفي حديث البراء قال: "آخر سورة نزلت كاملة براءة، وآخر سورة نزلت خاتمة سورة النساء {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله} [النساء: 176/4]"²⁵، قال العيني: "قوله: (كاملة) قال الداودي: لفظ: كاملة، ليس بشيء لأن براءة نزلت شيئاً بعد شيء. قلت: ولهذا لم يذكر لفظ: كاملة في هذا الحديث في التفسير، ولفظه هناك: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت يستفتونك، وذكر النحاس عن ابن عباس: آخر سورة نزلت: {إذا جاء نصر الله والفتح} [النصر: 1/110] وعن ابن عباس: إن آخر آية نزلت آية الرِّبَا، وآخر سورة نزلت... الخ"²⁶.

وعقب العيني قائلاً: "وجاء عن ابن عباس أيضاً: إن آخر آية نزلت {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} [التوبة: 128/9] وجاء عنه أيضاً: إن آخر آية نزلت {واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله} وهذه ثلاث روايات عن ابن عباس، فهل قالها كله بالظن؟ فلا يقال ذلك"²⁷.

ويُعلل العيني حديث البراء بقوله: "بلى إن قيل: إن هذا آخر آية نزلت في أحكام الرِّبَا فله وجه غير بعيد"²⁸، وقال أيضاً: "ولعل البراء أراد بعض سورة براءة. وقال بعضهم: ويجمع بين حديثي البراء وابن

21 العيني، عمدة القاري، 178/1.

22 العيني، عمدة القاري، 182/8.

23 العيني، عمدة القاري، 202/11.

24 العيني، عمدة القاري، 202/11.

25 العيني، عمدة القاري، 17/18، رقم: (4364).

26 العيني، عمدة القاري، 17/18.

27 العيني، عمدة القاري، 246/23.

28 العيني، عمدة القاري، 195/18.

عباس بأنهما لم ينقلاه وإنما ذكراه عن اجتهاد قلت: لا محل للاجتهاد في مثل ذلك على ما لا يخفى على المتأمل²⁹.

وذكر البخاري "عن ابن عباس آخر آية نزلت على النبي آية الربا، وروي عن ابن عباس أيضًا من وجه آخر: أن آخر آية نزلت على النبي: {واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله}³⁰.

وكعادة العيني يوفق بين الأحاديث ويجمع بين كلام الصحابة، فيتساءل قائلًا: "فإن قلت: ما التوفيق بين قولي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما المذكورين؟ قلت: طريق الجمع بينهما أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا؛ لأنها معطوفة عليها فتدخل في حكمها"³¹.

ومما سبق يظهر جليًا رأي الإمام العيني في آخر ما نزل وهو قوله تعالى: "وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ" [البقرة: 281/2]، ويرد قول أبي بن كعب وقول البراء، ويوفق بين قولي ابن عباس رضي الله عنهما.

قال السيوطي: "ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا: {واتقوا يومًا} وآية الدين؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة فأخبر كلٌّ عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح وقول البراء آخر ما نزل: {يستفتونك}، أي في شأن الفرائض"³².

وقال الزرقاني: "أن الذي تستريح إليه النفس منها هو أن آخر القرآن نزولًا على الإطلاق قول الله في البقرة: {وَأَتَقُوا يَوْمًا...}، وأن ما سواها أواخر إضافية أو مقيدة"³³.

لكن القاضي أبا بكر يذهب مذهبًا آخر إذ يقول: "ليس في شيء من الروايات ما رُفِعَ إلى النبي عليه السلام، وإنما هو خبرٌ عن القائل به، وقد يجوز أن يكونَ قالَ بضربٍ من الاجتهاد، وتغليبِ الظنِّ وبظاهرِ الحال، وليسَ العلمُ بذلكَ أيضًا من فرائضِ الدين، ولا هو مما نصَّ الرسولُ على أمر فيه بينه وأشاعه وأذاعه وقصدَ إلى إيجابه وإقامةِ الحجَّةِ به. فلذلك لم يَجُزْ ظهورُه عنه وحصولُ الاتفاقِ عليه

²⁹ العيني، عمدة القاري، 259/18.

³⁰ العيني، عمدة القاري، 132/18.

³¹ العيني، عمدة القاري، 133/18.

³² عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، 1974م)، 102/1.

³³ الزرقاني، مناهل العرفان، 100/1.

وثبوت العلم به قطعاً يقيناً. وقد يحتمل أن يكون كل قائل ممن ذكرنا يقول إن ما حكمم بأه ما ذكره آخر ما نزل لأجل أنه آخر ما سمعه من رسول الله...³⁴.
وكما أسلفنا فإن هذا العلم قائم على النقل والرواية ولا مجال فيه للعقل إلا عند الجمع بين الأدلة أو الترجيح بينها، وليس هو من المعلوم بالضرورة، وإنما نقل الصحابة ما وصل إليهم وما ترجح عندهم.

3.2. نزول القرآن على سبعة أحرف

نزول القرآن على سبعة أحرف ثبت بحديث متواتر عن أحد عشر صحابياً، فقد كان العرب متعددي اللهجات، متبايني الألسن؛ فأنزل الله القرآن بما يتماشى مع لهجاتهم ولغاتهم؛ مصداقاً لقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا يَلْسَانٍ قَوْمِهِ لِئُبَيِّنَ لَهُمْ" [إبراهيم: 4/14]، وكذلك قوله: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ" [البقرة: 185/2]؛ وقد اختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة على نحو الأربعين حديثاً كما حكى ذلك القرطبي والسيوطي³⁵.

وقد فصل العيني في معنى الأحرف السبعة في شرحه، وحصر المعنى في عشرة أنواع فقال في باب (الخصوم بعضهم في بعض) عندما ذكر البخاري حديث الخلاف بين عمر بن الخطاب وحكيم بن هشام في قراءة سورة الفرقان³⁶، فذكر العيني المعنى المراد بالأحرف السبعة فقال: "ولم يبين أحد كيفية الخلاف الذي وقع بينهما، قوله (على سبعة أحرف): اختلفوا في معنى هذا على عشرة أقوال"³⁷، ثم فصل هذه الأقوال وبيّنها.

ثم ذكر قول الإمام ابن الجزري في الأحرف السبعة³⁸، كما أورد قول القاضي عياض بأن السبعة للتوسعة لا للحصر، وقول ابن أبي صفرة³⁹.

³⁴ محمد بن الطيب الباقلاني، الانتصار للقرآن، (عَمَّان: دار الفتح، 2001م)، 1/246.

³⁵ مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، ط3 (الرياض: مكتبة المعارف، 1996م)، 59. السيوطي، الإتيان، 131-132/1.

³⁶ العيني، عمدة القاري، 257/12، رقم: (1428).

³⁷ العيني، عمدة القاري، 258-259/12.

³⁸ العيني، عمدة القاري، 259/12.

³⁹ العيني، عمدة القاري، 259/12.

كما فصل اختلاف العلماء في القراءة اليوم بالأحرف السبعة فقال: "واختلف الأصوليون هل يقرأ اليوم على سبعة أحرف: فمنعه الطبري وغيره وقال إنما يجوز بحرف واحد اليوم وهو حرف زيد، ونحى إليه القاضي أبو بكر.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: أجمع المسلمون على أنه لا يجوز حظر ما وسعه الله تعالى من القراءات بالأحرف التي أنزلها الله تعالى، ولا يسوغ للأمة أن تمنع ما يطلقه الله، بل هي موجودة في قراءتنا، وهي مفرقة في القرآن غير معلومة بأعيانها، فيجوز على هذا وبه⁴⁰.

كما فسر العيني قول رسول الله (لا تختلفوا)؛ "أي لا تختلفوا في القرآن، والاختلاف فيه كفر إذا نفى إنزاله إذا كان يقرأ خلاف ذلك، ولا يخير بين القراءتين، لأنهما كلاهما قديم غير مخلوق"⁴¹. وبهذا يظهر أن العيني لا يرى التخيير بين القراءات لأنها كلها من الله تعالى.

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله قال: "أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف"⁴². قال العيني: " (على حرف) أي: على لغة، وقيل: الحرف الإعراب، وقيل: الكيفيات. قوله: (فلم أزل أستزيده)، أي: اطلب منه الزيادة على حرف واحد...، قوله: (إلى سبعة أحرف) أي: سبع لغات من لغة العرب، يعني: أنها مفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، على أنه قد جاء في القرآن ما قد قرئ بسبعة وعشرة، كقوله: {مالك يوم الدين} {وعبد الطاغوت} [المائدة: 6/5]. ومما يبين ذلك قول ابن مسعود: إني قد سمعت الثراء فوجدتهم متقاربين، فافروا كما علمتم إنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال وأقبل. وفيه أقوال غير ذلك هذا أحسنها"⁴³، وقد صرح العيني هنا أن المراد بها اللغة.

وكذلك قال في (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف): "سبعة أوجه، وهو سبع لغات، يعني يجوز أن يقرأ بكل لغة منها، وليس المراد أن كل كلمة منه تقرأ على سبعة أوجه قيل: قد يوجد بعض الكلمات يقرأ على أكثر من سبعة أوجه وأجيب: بأن غالب ذلك من قبيل الاختلاف في كيفية الأداء، كما في

40 العيني، عمدة القاري، 258/12.

41 العيني، عمدة القاري، 250/12.

42 العيني، عمدة القاري، 136/15.

43 العيني، عمدة القاري، 136/15.

المد والإمالة ونحوهما، وقيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التبسيط والتسهيل، ولا يراد العدد المعين، وإلى هذا مال عياض ومن تبعه⁴⁴.

وفي باب (ما جاء في المُتأولين) قال العيني: "على سبعة أحرف أي: على سبع لغات هي أفصح اللغات. وقيل: الحرف الإعراب، يقال: فلان يقرأ بحرف عاصم أي بالوجه الذي اختاره من الإعراب، وقيل: توسعة وتسهيلاً لم يقصد به الحصر، وفي الجملة قالوا: هذه القراءات السبع ليس كل واحدة منها واحدة من تلك السبع، بل يحتمل أن تكون كلها واحدة من اللغات السبعة"⁴⁵.

وقد ذهب إلى هذا الرأي سفيان بن عُيينة، وعبد الله بن وهب، وابن جرير الطبري في تفسيره⁴⁶، "وأبو عُبيد القاسم بن سَلَامٍ وأحمد بن يحيى نُعَلْبٌ وحكاهُ ابنُ دُرَيْدٍ عن أبي حاتمِ السِّجِسْتَانِيِّ وحكاهُ بعضهم عن القاضي أبي بكر⁴⁷ والأزهري في التهذيب والبيهقي في شعب الإيمان"⁴⁸، ومكي القيسي⁴⁹، والداني⁵⁰، وابن الجوزي⁵¹، والطحاوي، ونسبه ابن عبد البرّ وابن كثير القرطبي لأكثر العلماء⁵²، والباقعي في مساعد النظر⁵³، ومحمد بن علي الحداد⁵⁴، كما رجح هذا الرأي محمد أبو شبة في كتابه "المدخل لدراسة القرآن الكريم" ورد عن الشبهات التي أُثِّرت ضده⁵⁵، كما أيده مناع

44 العيني، عمدة القاري، 20/20.

45 العيني، عمدة القاري، 91/24.

46 عبد الرحمن ابن الجوزي، فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، (بيروت: دار البشائر، 1987م)، 207.

47 أبو بكر الباقلاني، الانتصار، 353/1.

48 الزركشي، البرهان، 217/1-218.

49 مكي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، (مصر: دار نهضة مصر، د.ت)، 71.

50 ينظر: عثمان بن سعيد الداني، الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة، (الرياض: دار المغني، د.ت)، 90.

51 ابن الجوزي، فنون الأفتان، 214.

52 إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الفكر، 1401هـ)، 5/1. محمد بن أحمد القرطبي،

الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م)، 42/1. السيوطي، الإتقان، 123/1. الزركشي،

البرهان، 220. محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية، 1984م)، 56/1.

53 إبراهيم بن عمر الباقعي، تصاعد النظر للإشراف على مقاصد السيور، (الرياض: مكتبة المعارف، 1987م)،

388/1.

54 محمد بن علي الحداد، الكواكب الدرية فيما ورد في انزال القرآن على سبعة حروف، (الرياض: مطبعة الحلبي، د.ت)،

6،7.

55 محمد بن سويلم أبو شبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط2 (القاهرة: مكتبة الشئنة، 2003م)، 176.

القطان في كتابه "مباحث في علوم القرآن" و"نزل القرآن على سبعة أحرف"⁵⁶، ورجحه محمد عبد العزيز الخضيري في المحاضرة السادسة عشر في الأكاديمية الإسلامية المفتوحة. وأصحاب هذا الرأي يرون أن عثمان حين جمع المصحف جمعه على حرف واحد دون الأحرف الستة الباقية؛ بسبب الاختلافات التي حدثت بين الناس في القراءة، قال الطبري: "فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد، الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية"⁵⁷. والظاهر أن العيني يؤيد أن القراءات السبعة هي سبع لغات من أفصح لغات العرب، ولكنه ذكر الوجوه الأخرى وبيّنها، وشرحها، يُطلع القارئ على الوجوه الأخرى التي ذكرها العلماء، ولكل فريق منهم حُجته.

4.2. عدد الحروف والكلمات والآيات في السور

نهج العيني عند استفتاحه أبواب السور أن يذكر اسمها، وأصل التسمية، وكونها مكية أم مدنية، وذكر الآيات المستثناة من ذلك، كما يذكر عدد حروفها وكلماتها وآياتها هو ما يُعرف بعلم الفواصل، وأحياناً يذكر بعد أي سورة أنزلت وقبل أي سورة.

مثال ذلك ما ذكره في تفسير سورة القلم قال: "قال مقاتل: مكية كلها. وذكر ابن النقيب عن ابن عباس من أولها إلى قوله: {سنسمه} [القلم: 61/68] مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله: {لو كانوا يعلمون} [القلم: 33/68] مدني، وقال السخاوي: نزلت بعد سورة المزمل وقبل المدثر: وهي ألف ومائتان وستة وخمسون حرف وثلاثمائة كلمة، واثنان وخمسون آية"⁵⁸.

وفي باب سورة الحاقة قال: "وهي مكية في قول الجميع، وقال السخاوي: نزلت قبل المعارج وبعد سورة الملك، وهي ألف وأربعة وثمانون حرفاً. ومائتان وست وخمسون كلمةً، واثنان وخمسون آيةً. وفي مسند ابن عباس: عن معاذ إنما سميت الحاقة؛ لأن فيها حقائق الأعمال من الثواب والعقاب"⁵⁹.

⁵⁶ مناع القطان، المباحث، 162. مناع بن خليل القطان، نزول القرآن على سبعة أحرف، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1991م)، 71. السيوطي، البرهان، 217-218.

⁵⁷ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م)، 1/64.

⁵⁸ العيني، عمدة القاري، 19/255.

⁵⁹ العيني، عمدة القاري، 19/258.

ومن المعلوم أن العلماء قد اختلفوا في عدد آي القرآن كما قال الداني: "أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة، وقيل: وتسع عشرة، وقيل: وخمس وعشرون، وقيل: وست وثلاثون"⁶⁰. فقد اختلف أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة في عدد آي القرآن، وسبب اختلافهم في ذلك هو: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف فإذا علم محلها وصل للتمام؛ فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة"⁶¹.

ومن السور التي اختلف فيها العلماء سورة البقرة قال فيها العيني: "وهي خمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف، وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة، ومائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي، وهو عدد على رضي الله عنه، وفي عدد أهل البصرة: مائتان وثمانون وسبع آيات، وفي عدد أهل الشام: مائتان وثمانون وأربع آيات، وفي عدد أهل مكة: مائتان وثمانون وخمس آيات، وهي أول سورة نزلت بالمدينة في قول"⁶².

وكذلك سورة الأعراف ذكر الاختلاف فيها فقال: "وهي مائتان وست آيات كوفي ومكي ومائتان وخمس بصري وشامي، وأربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وعشرة أحرف، وثلاث آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة"⁶³.

وقد أغفل العيني ذكر اختلاف أقوال العلماء في عدد آيات بعض السور مثل: سورة النساء⁶⁴، والأنعام⁶⁵، والأنفال⁶⁶ وغيرهم.

كما تكلم الإمام العيني عن علم الفواصل واتساقها والسجع فيها.

5.2. ترتيب سور القرآن

من المعروف أن العلماء اختلفوا في ترتيب سور القرآن هل كلها توقيفية من الرسول صلى الله عليه وسلم، أم اجتهادية من الصحابة، أم بعضها توقيفي وبعضها اجتهادي.

⁶⁰ السيوطي، الإتيان، 232/1.

⁶¹ العيني، عمدة القاري، 231/1.

⁶² العيني، عمدة القاري، 82/18.

⁶³ العيني، عمدة القاري، 231/18.

⁶⁴ العيني، عمدة القاري، 162/18.

⁶⁵ العيني، عمدة القاري، 218/18.

⁶⁶ العيني، عمدة القاري، 244/18.

وقد عرض العيني في باب (الجمع بين السورتين في الركعة) قول القاضي عياض في ذلك فقال: "قال عياض: هل ترتيب السور من ترتيب النبي أو من اجتهاد المسلمين؟ قال ابن الباقلائي: الثاني أصح القولين مع احتمالهما، وتأولوا التهي عن قراءة القرآن منكوساً على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها، وأما ترتيب الآيات فلا خلاف أنه توقيف من الله تعالى على ما هو عليه الآن في المصحف"⁶⁷.
ظهر من نقل العيني أنه يوافق رأي الباقلائي في أن ترتيب السور من اجتهاد المسلمين، ويذهب إلى هذا القول أيضاً مالك وابن فارس في كتابه (المسائل الخمس) وجمهور العلماء⁶⁸.

فالعيني هنا ذكر قول الباقلائي الذي يرجح أن ترتيب السور ليس توقيفياً، ولم يسق لذلك الأدلة، ولم يذكر أقوال المخالفين ويعرض حججهم، وكان كلامه مقتضباً، ويشفع له أن كتابه هو كتاب شرح لصحيح البخاري، كما إن هذه المسألة ناقشها العلماء في كتب علوم القرآن، فلا فائدة من إثارة الموضوع مرة أخرى في كتابه، كما عرض لقارئ كتابه خلاصة رأي العلماء وما يرجحه هو.

6.2. المكي والمدني

معرفة الآيات المكية والمدنية مهم جداً لكل مفسر وفقهه، فهي مفيدة في فهم معاني الآيات والمراد منها وما فيها من إشارات، ومعرفة الناسخ من المنسوخ لأن المتأخر ناسخ للمُتقدم، والمقيد من المطلق، والخاص من العام، ومعرفة تاريخ التشريع وتدرجه حسب أحوال المخاطبين، وغير ذلك. وفي كتاب التفسير وفي باب كل سورة تم ذكرها كان العيني يبين كونها مكية أم مدنية، ويذكر خلاف العلماء وإجماعهم في ذلك، والآيات المكية المستثناة من السور المدنية والعكس. وكذلك يذكر بيان المكي والمدني في آيات الأحكام، ففي قوله تعالى: "ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه" [الأنعام: 121/6] قال العيني: "ولا يختلف العلماء أن الآية نزلت في الأنعام بمكة. والأنعام مكية. قلت: ذكر أبو العباس الضري في كتابه (مقامات التنزيل) والتعلبي وغيرهما: أن في الأنعام آيات سنًا مدنيت نزلن بها. فإطلاق أبي عمر كلامه بأن كلها مكية غير صحيح"⁶⁹.

⁶⁷ العيني، عمدة القاري، 6/41.

⁶⁸ الزرقاني، مناهل العرفان، 1/353.

⁶⁹ العيني، عمدة القاري، 11/173.

فضّل العيني هنا عن سورة الأنعام بأنها ليست كلها مكية، ففيها ست آيات مدنية، ويتن ما يبني على ذلك من أحكام في التسمية على الطعام وعلى الذبائح.

وكان يُشير أحياناً إلى ضوابط معرفة المكّي والمدني فقال في سورة المزمل: "قال جماعة منهم متى سمعت كلا في سورة فاحكم بأنها مكية؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد، وأكثر ما نزل ذلك بمكة لأن أكثر العتوكان بها"⁷⁰.

كان العيني هنا يُضيف للقارئ علماً من علوم القرآن، ويُرشده للتمييز بين السور المكية والمدنية، وبعض ضوابط هذا الأمر. علماً أن لفظ (كلا) ذكر في نصف القرآن الثاني فقط، وأول مرة ورد في سورة مريم وهي مكية.

وكان العيني يعتمد على كتب التفاسير الكثيرة التي استقى منها، وكتب أسباب النزول، و (مقامات التنزيل) لأبي العباس الضريير.

7.2. أسباب النزول

علم أسباب النزول يُساعد على فهم معاني الآيات فهماً سليماً، ومعرفة الحوادث المرتبطة بنزولها، ومعرفة مقصود الشارع من الأحكام، قال الواحدي عن أسباب النزول: "إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب"⁷¹.

وقد أولى العيني عناية بالغة بأسباب النزول؛ لأنها من بيان القرآن بالسنة، كما اهتم بذكرها وتفصيلها الصحيح منها والضعيف، واعتمد في ذلك على كتب التفاسير الكثيرة التي استقى منها والتي سنذكرها في مطلب التفسير، وكذلك كتب أسباب النزول كأسباب النزول للواحدي، وغيره.

وقال في تفسير سورة الكوثر: "وهي مكية عند الجمهور، وقال قتادة والحسن وعكرمة: مدنية، وسبب الاختلاف فيه لأجل الاختلاف في سبب النزول فعن ابن عباس: نزلت في العاص ابن وائل؛ فإنه قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم: الأبر، وقيل: في عقبه بن أبي معيط. وعن عكرمة: في جماعة من

⁷⁰ العيني، عمدة القاري 50/1.

⁷¹ علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، (الدمام: دار الإصلاح، 1992م)، 8.

قريش، وقيل: في أبي جهل، وقال السُّهيلي: في كعب بن الأشرف، قال: ويلزم من هذا أن تكون السورة مدنية، وفيه تأمل⁷².

عرض العيني هنا اختلاف أقوال العلماء في أسباب النزول، وما يبنى عليه من كون السورة مدنية أو مكية، ولم يُرجح أحد الأقوال، ولكنه ذكر في بادئ الأمر حكم الجمهور.

وفي تفسير قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} [النساء: 85/4] قال العيني: "واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة، وأكثرهم على أنها نزلت في شأن عثمان بن طلحة الحنظلي العديري، سادن الكعبة حين أخذ علي بن أبي طالب مفتاح الكعبة يوم الفتح، ذكره ابن سعد وغيره، وقال محمد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب: إنها نزلت في الأمراء، يعني الحكام بين الناس. وقيل: نزلت في السلطان يعظ النساء"⁷³.

في هذا الموضوع ذكر العيني الرأي الراجح أولاً ولم يكتف به، بل فصل بقية الأقوال الموجودة في سبب نزول الآية، وعرضها جميعاً.

8.2. المُحْكَمُ وَالمُتَشَابِه

علم المحكم والمتشابه علم فاضل له فوائد جمة: منها الحث والتأمل في آيات الله سبحانه، وبيان منازل العباد، وإظهار التفاضل بينهم في الفهم، وتمييز العالم من الجاهل، وبروز الذي ينقب عن الحقيقة من الذي يأخذ بالظاهر، وابتلاء العباد في المتشابه، وغيرها من الجِغَم.

وقد تطرق الإمام العيني إلى المحكم والمتشابه فقال في باب: {منه آيات محكمات}:

"قال الرمخشري: محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه. (هُنَّ أَمْ الكِتَابِ) أي: أصل الكتاب. متشابهات مشتبهات محتملات.

وقال الكرمانني: أما اصطلاح الأصوليين فالمحكم: هو المشترك بين النص والظاهر، المتشابه: هو المشترك بين المجلد والمؤول.

وقال الخطابي: المحكم هو الذي يعرف بظاهر بيانه تأويله وبواضح أدلته باطن معناه، والمتشابه ما اشتبه منها فلم يتلق معناه من لفظه ولم يدرك حكمه من تلاوته، وهو على ضربين: أحدهما: ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به علم معناه. والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته وهو الذي يتبعه أهل

⁷² العيني، عمدة القاري، 3/20.

⁷³ العيني، عمدة القاري، 227/12.

الزبيغ فيبطلون تأويله ولا يبلغون فيرتابون فيه فيفتنون به، وذلك كالإيمان بالقدر ونحوه"⁷⁴، ثم ذكر تعريفات أخرى لم ينسبها.

ساق العيني تعريف المُحكّم والمُتشابه للزمخشري والكرماني والخطابي وأربع تعريفات أخرى لم ينسبها، ولم يُرجح أحد هذه التعريفات، أو يُعقب على أحدها، وقد جمعت كل أقوال العلماء تقريباً في معنى المُحكّم والمتشابه، فعرضها جميعاً للقارئ، ولم يختَر تعريفاً بعينه.

كما قال العيني: "إن ابن عباس قرأ المحكّم من القرآن وعمره عشر سنين، ويطلق عليه الغلام، ... قوله: (قرأ المحكّم) وهو الذي لا نسخ فيه، ويطلق المحكّم على ضد المتشابه في اصطلاح أهل الأصول، وهذا سعيد بن جبير فسر المفصل بالمحكّم"⁷⁵.

هنا ذكر معنى المحكّم: وهو الذي لا نسخ فيه، ونقل كلام سعيد بن جبير في تفسير المُفصل بالمحكّم.

وفي باب (النظر إلى المرأة قبل التزويج) قال العيني: "يذكر عن ابن عباس في قوله تعالى: {حتى يبلغ الكتاب أجله} [البقرة: 532/2] حتى تنقضي العدة...، وهذا من المحكّم المجتمع على تأويله أن بلوغ أجله انقضاء العدة..."⁷⁶.

هنا فسر العيني المُحكّم بأنه: المجتمع على تأويله عند العلماء، ولا خلاف بينهم في تفسيره.

من خلال ما سبق نرى أن العيني عرف المحكّم بأنه: الذي لا نسخ فيه، كما عرفه بالمُفصّل، والمُجتمع على تأويله، وضد المتشابه، كما ساق تعاريف كثيرة لأهل العلم ولم يختَر أو يرجح أحد منها.

قال الطبري: "(المحكّم) من آي القرآن: ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره. و(المتشابه): ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل، مما استأثر الله بعلمه دون خلقه"⁷⁷.

74 العيني، عمدة القاري، 138/18.

75 العيني، عمدة القاري، 50/20.

76 العيني، عمدة القاري، 119-118/20.

77 الطبري، جامع البيان، 179/6.

ويرى ابن حجر أن هذا المعنى: "أشهرها وأقربها إلى الصواب، وذكر الأستاذ أبو منصور البغدادي أن الأخير هو الصحيح عندنا وابن السمعاني أنه أحسن الأقوال والمختار على طريقة أهل السنة"⁷⁸، وبه قال الطيبي⁷⁹.

9.2. الناسخ والمنسوخ

علم الناسخ والمنسوخ من العلوم المهمة الجليلة لكل عالم وطالب علم، فلا يجوز له الفتوى بدونه؛ حتى لا يُدخل في دين الله أو يُخرج منه ما ليس منه.

نقل ابن عبد البر عن: "يُحْيِي بِنَّ أَكْثَمَ يَقُولُ: ليس من العلوم كلها علم هو أوجب على العلماء وعلى المتعلمين وكافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه؛ لأن الآخذ بناسخه واجب فرضاً، والعلم به لازم ديانة، والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهى إليه؛ فالواجب على كل عالم علم ذلك، لئلا يوجب على نفسه أو على عباد الله أمراً لم يوجبه الله عز وجل أو يضع عنه فرضاً أوجبه الله عز وجل"⁸⁰. وكان هذا دأب السلف الصالح فقد روي "أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى على قَاضٍ فَقَالَ لَهُ: "هَلْ تَعَلَّمَ النَّاسِخَ مِنَ الْمُنْسُوخِ", قَالَ: "أَلَا"، قَالَ: "هَلَكْتَ، وَأَهْلَكْتَ"⁸¹، فقد سأل الإمام علي عن هذا العلم دون سواه لأهميته وعظيم شأنه.

وكما أسلفنا في ترجمة العيني أنه كان قاضي القضاة بمصر، فكان على علم كبير بهذا العلم العظيم، وقد تطرق كثيراً في كتابه للناسخ والمنسوخ، ومن أهم المصادر التي استقى منها: كتب التفسير الكثرية التي سنذكرها في مطلب التفسير، إضافة إلى كتاب: (الناسخ والمنسوخ) للنحاس، ولابن شاهين، وللموصلي الحنبلي، ولأبي الحسن بن الحصار، وغيرهم. وأغلب ما ذكره من النسخ هو النوع الذي تُسخ حكمه وبقي خطه ورسمه.

ومثال ذلك ما جاء في حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم "من تسمى باسمي فلا يتكئى بكنيتي ومن تكئى بكنيتي فلا يتسمى باسمي" وأخرج الترمذي عن أبي هريرة "نهى النبي صلى الله

78 أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، 211/8.

79 السيوطي، الإتقان، 9/3.

80 يوسف بن عبد الله بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1994م)، 767/1.

81 أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، ط3 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م)، باب آداب القاضي، باب إثم من أفتى أو قضى بالجهل، 200/10، رقم: (20360).

تعالى عليه وسلم أن يجمع بين اسمه وكنيته"، وذهب قوم إلى أن النهي منسوخ بالإباحة في حديث علي وطلحة وهو قول الجمهور من السلف والعلماء⁸².

يَبِّن العيني في هذا الموضوع الحكم المنسوخ وهو الجمع بين التَّسْمِي باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتَّكْنِي بكنيته، والناسخ هو قول جمهور العلماء بالإباحة فيه؛ لحديث علي وطلحة رضي الله عنهما، ودلّ على الإباحة أيضاً فعل جماعة من الناس ذلك.

قال الإمام النووي: اختلف العلماء في ذلك على مذاهب كثيرة، وذكر منها القول الثاني: " أن هذا النهي منسوخ فإن هذا الحكم كان في أول الأمر لهذا المعنى المذكور في الحديث ثم نسخ قالوا فيباح التكني اليوم بأبي القاسم لكل أحد سواء من اسمه محمد وأحمد وغيره وهذا مذهب مالك قال القاضي وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء"⁸³.

وفي باب (المسح على الخفين) روى البخاري حديثاً مُسنَّداً فقال عن: "المغيرة بن شعبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج لحاجته فاتبعه المغيرة باداوة فيها ماء فصب عليه حين فرغ من حاجته فتوضأ ومسح على الخفين"⁸⁴، قال العيني في استنباط أحكام الحديث: "فيه الرد على من زعم أن المسح على الخفين منسوخ بآية الوضوء التي في المائدة لأنها نزلت في غزوة المريسيع، وكانت هذه القصة في غزوة تبوك وهي بعدها بلا خلاف"⁸⁵.

ردّ العيني على القائلين بنسخ حكم المسح على الخفين، ببيان زمن نزول آية الوضوء في المائدة وزمن القصة في الحديث، فأقام الحجة عليهم.

10.2. العام والخاص

هذا العلم مهم جداً عند المفسرين والأصوليين؛ لأنه تُبنى عليه العديد من الأحكام الشرعية، وهو مفيد في فهم آيات القرآن الكريم واستخلاص العبر منها، كالتخصيصات التي جاءت في الأخبار العامة ويتأثر بها المعنى.

82 العيني، عمدة القاري، 156/2.

83 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، 112/14.

84 العيني، عمدة القاري، 99/3.

85 العيني، عمدة القاري، 100/3.

وقد ذكر العيني في باب قوله تعالى: "والجروح قصاص" [المائدة: 45/5] قال: "هذا تعميم بعد التخصيص لأنه ذكر العين بالعين ونحوها، والقصاص في الجرح إنما يثبت فيما يمكن أن يقتص فيه مثل الشفتين والذكر واليدين وما أشبه ذلك، وما عدا ذلك من كسر عظم أو جراحة في البطن ففيه أرش" 86.

وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" 87، قال العيني: "(والناس أجمعين) من باب عطف العام على الخاص، كقوله تعالى: {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم} [الحجر: 87/15] وهو عكس قوله تعالى: {وملائكته ورسله وجبريل وميكال} [البقرة: 98/2] فإنه تخصيص بعد تعميم" 88.

استعان العيني في هذا الموضوع بالقرآن لشرح ألفاظ الحديث، وبيان عطف العام على الخاص، وعطف الخاص على العام، وضرب على ذلك أمثلة من القرآن الكريم ببيان الشيء وضده مستخدمًا مصطلح العام والخاص التي هي من علوم القرآن الكريم.

11.2. المطلق والمقيد

معرفة أحكام الشرع تتوقف على معرفة المعنى، ومعرفة المعنى تتوقف على أمور عدة منها المطلق والمقيد.

وقد اهتم العيني بذكر المطلق والمقيد في الآيات القرآنية التي تطرق إليها بالشرح، كما ذكرهما عند شرحه لكثير من الأحاديث حتى يتبين المعنى الصحيح في الدليل الشرعي، ويظهر ما يبني عليه من أحكام.

ففي باب (قول الله تعالى: {أو تحرير رقبة} [المائدة: 98/5]) قال العيني: "ذكر هذا الجزء من الآية واقتصر عليه اعتمادًا على المستنبط، فإن تحرير الرقبة على نوعين: أحدهما: في كفارة اليمين وهي مطلقة فيها، والآخر: في كفارة القتل وهي مقيدة بالإيمان، ومن هنا اختلف الفقهاء: (فذهب الأوزاعي ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق إلى أن المطلق يحمل على المقيد. (وذهب أبو حنيفة

86 العيني، عمدة القاري، 205/18.

87 العيني، عمدة القاري، 145/1.

88 العيني، عمدة القاري، 146/1.

وأصحابه وأبو ثور وابن المنذر إلى جواز تحرير الكافرة، وبقية الكلام في هذا الباب في كتب الأصول"89.

ذكر العيني هنا الحكم الشرعي في الآية، وبيّن ما يترتب على الإطلاق وعلى التقييد في الآية، واختلاف الفقهاء في ذلك على قولين، ولم يُفصل فيه؛ بل أعطى القارئ خلاصة أقوال العلماء، وبيّن ما استندوا عليه في حُكمهم.

وكان العيني يُكثر من بيان المطلق والمقيد في الأحاديث، مثال ذلك ما قاله عند شرحه لحديث أنس قال: "كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، ثُمَّ سَمِعْتَهُ بَعْدَ يَقُولٍ: كَانَ يَصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ قَبْلَ أَنْ يَبْنِيَ الْمَسْجِدَ"90، قال العيني: "قوله: (ثم سمعته بعد يقول)، قال بعضهم: هو شعبة، يعني: يقول ثم سمعت أبا التياح يقول، بقيد بعد أن قال مطلقاً، قلت: لم لا يجوز أن يكون القائل هو أبا التياح سمع من أنس أولاً بإطلاق، ثم سمع بقيد يعني: أبو التياح يقول ثم سمعت أنساً بعد ذلك القول يقول: كان يَصَلِّي إِلَى آخِرِهِ، أشار بذلك إلى أن قوله أولاً مطلق وقوله ثانياً مقيد، فالحكم أنهما إذا وردا سواء يحمل المطلق على المقيد عملاً بالدليلين"91.

جمع العيني هنا بين الدليلين، وحمل المطلق على المُقيد لِيُفهم معنى الحديث، وكلام الراوي فيه.

12.2. المُشْكِـل

المُشْكِـل هو ما التبس معناه واشتبه فهم المراد منه على بعض الناس، وهو يحتاج إلى مزيد من النظر والتدبر ليصل الإنسان إلى معرفة مراد الله منه، فتطمئن نفسه، ويقوى إيمانه عندما يصل إلى أن كتاب الله لا تضاد فيه ولا اختلاف، بل يؤيد بعضه بعضاً، ويكشف عن جانب من جوانب إعجازه.

وقد حرص الإمام العيني في كتابه على إبراز المُشْكِـل ودفع الإشكال عنه وتوضيحه، وظهر ذلك في تفسير الآيات القرآنية وشرح الأحاديث الشريفة.

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: "ويسألونك عن الروح" [الإسراء: 85/17] قال العيني: "وسؤالهم عن الروح بقولهم: ما الروح؟ مشكل إذ لا يعلم مرادهم، لأن الروح جاء في القرآن على معان. قال الله تعالى: { نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ } [الشعراء: 193/26] وقال: { نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا }

89 العيني، عمدة القاري، 220/23.

90 العيني، عمدة القاري، 180/4، رقم: (429).

91 العيني، عمدة القاري، 180/4.

[القدر: 4/97] وقال: {رُوحًا من أمرنا} [الشورى: 52/42] {يوم يقوم الرُّوحُ} [النبا: 38/78] فلو عينا سؤالهم لأمكنه أن يجيبهم⁹².

أزال الإمام العيني سبب الإشكال عن الآية بسبب سؤالهم غير المحدد فيها؛ لأن الروح جاء في القرآن الكريم على معان كثيرة.

13.2. التفسير

لا خلاف أن التفسير هو أساس علوم القرآن وأهمها، وبه يُفهم كتاب الله عز وجل ويُعرف المقصود من أوامره ونواهيه، وأحكامه الشرعية، فالقرآن دستور حياة المسلمين، وفهمه والعمل به من أساسيات هذا الدين، وقد خصص الإمام البخاري كتابًا في صحيحه لتفسير القرآن الكريم، واهتم الإمام العيني بالتفسير، واستقى من مصادر كثيرة لإثراء كتابه، وليستوفي حق الآية من جميع جوانبها في اللغة، والمعنى، والإعراب، والصرف، وأسباب النزول، والقراءات، وأحكام الفقه، وغيرها كثير، مثل:

1- كتب التفسير: استعان الإمام العيني بتفاسير كثيرة منها: جامع البيان للطبري، وهو أكثر المصادر التي نقل منها، وتفسير أبي حاتم، وتفسير ابن كثير، والكشاف للزمخشري، وتفسير عبد بن حميد، وتفسير الثعلبي، وتفسير النسفي، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني، والتفسير الكبير لابن مردويه، وتفسير القرطبي، تفسير وأسباب النزول للواحدي، وغيرهم كثير.

ومن الشواهد على استعانه بكتب التفسير في شرح المعنى أنه حينما فسّر قوله تعالى في الفتح: "سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" قال: "عن مجاهد في تفسير سيماهم: التواضع، وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: الخشوع والتواضع، وقال ابن أبي حاتم أيضًا عن مجاهد في هذه الآية: هو الخشوع، وقال عبد بن حميد عن مجاهد قال: الخشوع، وحدثني معاوية بن عمرو عن زائدة عن منصور عن مجاهد: هو الخشوع"⁹³، استشهد العيني في هذا الموضوع بتفسير مجاهد وأبي حاتم وعبد بن حميد.

⁹² العيني، عمدة القاري، 2/201، 200.

⁹³ العيني، عمدة القاري، 19/174.

وفي مجال إعراب بعض الكلمات نقل عن الثعلبي في تفسير قوله تعالى: "وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ" [فصلت: 1/41] قال العيني: "قال الثعلبي: سواء بالنصب على المصدرية، أي: استوت سواء، وقيل: على الحال، وبالرفع أي: هو سواء، وبالجر على نعت أربعة أيام"⁹⁴.

ومثال على ذكره الاسرائيليات ما جاء في باب (قصة يأجوج ومأجوج) قال: "وعن كعب الأحبار: إن التنين إذا آذى أهل الأرض نقله الله تعالى إلى يأجوج ومأجوج فجعله رزقا لهم، فيجزرونها كما يجزرون الإبل والبقر"⁹⁵، ولم يؤيد العيني هذا الخبر أو يكذبه، وإنما كان ناقلاً فقط.

2- كتب اللغة والنحو: مثل معاني القرآن للقرائ، وللزجاج، وللكسائي، وللأخفش، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، والصاحح للجوهري، والمحكم والمخصص لابن سيده، تهذيب اللغة للأزهري، وغيرهم كثير كان ينقل منهم في مجال تفسير ألفاظ القرآن، وفي مجال شرح ألفاظ الحديث، وفي مجال القراءات وتوجيهها وغيره.

وكذلك استعان بكتب الحديث والفقه الكثيرة.

14.2. القراءات

علم القراءات كما عرّفه ابن الجزري (ت 833هـ): "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل. والمقرئ العالم بها وراها مشافهة، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع والمشافهة"⁹⁶.

وقد برزت عناية العيني الكبيرة بعلم القراءات من جوانب مختلفة، تارة بالموازنة بينها، وتارة بذكر ترجيح الأئمة واختياراتهم في القراءة، وأحياناً بالرد على أصحابها، وأحياناً بذكر وجوه القراءات وبيان اختلاف المعاني والدلالات المترتبة عليها، واختلاف أحكام الشرع أيضاً.

ومثال ذلك ما نقله من أوجه قراءات في تفسير قوله تعالى: "أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ" [التوبة: 3/9] قال: "وقرئ: (إِنَّ اللَّهَ) بالكسر لأن الإيذان في معنى القول. قوله: (ورسوله) فيه قراءتان الرفع وهي القراءة المشهورة ومعناه: ورسوله أيضاً (بريء من المشركين)، والنصب ومعناه: وأن رسول الله براءة من المشركين، وهي قراءة شاذة"⁹⁷.

94 العيني، عمدة القاري، 152/19-153.

95 العيني، عمدة القاري، 233/15.

96 محمد بن محمد ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م) 9.

97 العيني، عمدة القاري، 261/18.

هكذا أورد العيني هنا أوجه القراءات، وتوجيهها النحوي، وأشار إلى المشهور والضعيف فيها. كما إنه كان يرجح بين القراءات وله عباراته الخاصة، مثل: (وهو الفصيح)، (الأجود)، (أحسن)، مثل ما جاء في قوله تعالى: "إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ" [النساء: 29/4]، قال العيني: "فيه قراءتان: الرفع على أن تكون تامة، والنصب على تقدير: إلا أن تكون الأموال أموال تجارة، فحذف المضاف، وقيل: الأجود الرفع لأنه أدل على انقطاع الاستثناء، ولأنه لا يحتاج إلى إضمار"⁹⁸، استخدم هنا لفظ (الأجود) للتعبير عن ترجيحه لهذه القراءة.

وقد نقل العيني من مصادر مهمة في القراءات أبرزها كتب التفاسير، وفي مقدمتهم تفسير الزمخشري ثم الطبري وغيرهم، وكتاب القراءات للقاسم بن سلام، وللفضل بن شاذان، وهما مفقودان، والتلويح للذهبي، ومعاني القرآن للفراء والزجاج والنحاس والقزاز وكثير من كتب اللغة والأدب.

15.2. التجويد

علم التجويد من العلوم المهمة، فقد حفظ لنا القرآن الكريم على النحو الذي قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أربعة عشر قرناً، وفائدته صون اللسان عن الخطأ وهو اللحن في قراءة القرآن، كما أنه سبب لإبراز التناسق الصوتي الجميل في القرآن مما يعين على التدبر والخشوع. وقد أشار العيني في بعض المواضع إلى التجويد فذكر في الحديث الذي رواه البخاري أنه: "قرأ النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة سورة الفتح فَرَجَّعَ فيها، قال معاوية لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي لفعلت"، قال العيني: "قوله: (فَرَجَّعَ): من الترجيع وهو ترديد الصوت في الحلق كقراءة أصحاب الألحان، وقيل: تقارب ضروب الحركات في الصوت، وزعم بعضهم أن هذا كان منه لأنه كان راكباً فجعلت الناقاة تحركه فحصل به الترجيع وهو محمول على إشباع المد في موضعه وكان صلى الله عليه وسلم حسن الصوت إذا قرأ مد ووقف على الحروف، ويقال: ما بعث نبي إلا حسن الصوت، وقام الإجماع على تحسين الصوت بالقراءة وترتيبها قاله القاضي"⁹⁹.

بيّن العيني أن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بإشباع المد، وتحسين الصوت، والوقف على الحروف، أي أنها كانت بالتجويد.

⁹⁸ العيني، عمدة القاري، 161/11.

⁹⁹ العيني، عمدة القاري، 176/19.

وفي حديث أنس أنه سُئل: "كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مدًا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم"، قال العيني: "والمد إنما يكون في الواو والألف والياء، ومد الرحمن والرحيم ليس كمد غيرهما لأنه ليس في البسمة همزة توجب المد في حروف المد واللين، وللقراءة في موضع المد في مقدارها وجوهات بُينت في موضعها"¹⁰⁰.

يقصد العيني أن المد في الكلمات الثلاثة (الله، الرحمن، الرحيم) من باب المد الطبيعي، لأنه لم يأت بعد حرف المد همزة فيكون مدًا متصلًا أو منفصلاً فيه زيادة على مقدار المد الطبيعي.

وفي قوله تعالى { وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَئِينَ } [التكوير: 42/81] قال العيني بعدما ذكر وجوه القراءات في كلمة (بضنين) بالضاد والطاء: "قال النسفي (في تفسيره) واتقان الفصل بين الضاد والطاء واجب، ومعرفة مخرجهما لا بد منه للقارئ فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين"¹⁰¹.

ذكر العيني الحروف التي يكون فيها المد وهي: الألف والياء والواو، وأن الهمزة من موجبات المد، ولم يُفصل أحكام المد ومقاديره، وإنما أشار أنها مُوضحة في مؤلفات خاصة.

وفي تفسير قوله تعالى: { وتظنون بالله الظنونا } قال العيني: "قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم الظنونا بالألف في الوصل والوقف لأن ألفها ثابتة في مصحف عثمان وسائر مصاحف أهل البلدان وعليه تعديل رؤوس الآي، وقرأ حمزة بغير ألف في الحاليين الوصل والوقف"¹⁰².

حرف الضاد حرف اختصت به اللُغة العربية، ولا يوجد فيما سواها من اللُغات؛ لأن مخرجه صعب قليلاً؛ فهو يخرج من أقصى حافتي اللسان مع الجهة الداخلية للأضراس العليا؛ لذا يجب التمييز بينه وبين حرف الطاء الذي يخرج من مُنتهى طرف اللسان مع طرف الثنايا العليا، وحرف الطاء أسهل من حرف الضاد لذلك يخلط الناس بين الحرفين فيقرؤون الضاد طاءً.

ومن العلوم المهمة من علوم التجويد علم الوقف والابتداء، وقد تكلم عن أهميته كثير من الصحابة من ذلك ما ورد عن علي رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: "وَرَبِّلِ الْقُرْآنِ تَرْتِيبًا" [المزمل: 4/73] قال: "الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف"¹⁰³، وكذلك جاء عن ابن عمر أنه قال: "قد عشنا برهة من

¹⁰⁰ العيني، عمدة القاري، 55/20.

¹⁰¹ العيني، عمدة القاري، 281/19.

¹⁰² العيني، عمدة القاري، 182/17-183.

¹⁰³ ابن الجزري، النشر، 225/1.

دهرنا، وإن أهدنا لِيُؤْتَى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبي صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها"¹⁰⁴.

وقد تكلم العيني في كتابه عن الوقف وإن لم يُكثر القول فيه، وغالبًا ما جاء بعد بيان أوجه تفسير الآية، فيذكر الوقف الذي يُناسب كل وجه، وأحيانًا يُبين كيفية اللفظ بالحرف عند الوقف.

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: "وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا" [الكهف: 63/18]، قال العيني: "قوله: (عَجَبًا) قال الزجاج: يجوز أن يكون من قول يوشع ومن قول موسى، وانتهى كلام يوشع عند قوله: واتخذ سبيله في البحر، ثم قال موسى: عجبت من هذا عجبًا، فيحسن على هذا الوقف على البحر، ويُتدئ من: عجبًا. وقال غيره: يجوز أن يكون إخبارًا من الله تعالى، أي: اتخذ موسى طريق الحوت في البحر عجبًا"¹⁰⁵.

عرض العيني هنا وجوه تفسير الآية الكريمة من كتاب معاني القرآن للزجاج وغيره، وبين الوقف المترتب على تلك الوجوه والمناسب لكل معنى.

وفي تفسير قوله تعالى: "وَإِذَا كَأَلُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ" [المطففين: 3/83] قال العيني: "وفي (تفسير) الطبري: كان عيسى بن عمر فيما ذكر عنه يجعلهما حرفين، ويقف على: كالوا وعلى: وزنوا، فيما ذكر ثم يتدئ فيقول: هم يخسرون، والصواب عندنا في ذلك الوقف على: هم، يعني: كالوهم"¹⁰⁶.

هذا المثال يقع أيضًا في باب المقطوع والموصول، عرض العيني ما جاء في تفسير الطبري من قراءة عيسى بن عمر الشاذة، ثم بين الصواب برأيه؛ لأن الضمير (هم) ضمير مُتصل في الفعلين؛ فلا يجوز الفصل بين الفعل وضميره، والوقف على الفعل دون ضميره لأنه لو أرادوا الفصل لكتبت ألف بعد الواو، فكان له رأيه الخاص ولم يكن ناقلاً فقط، وغيرها من الأمثلة التي يفسر فيها الآية ثم يبين الوقف الصحيح المترتب على التفسير.

16.2. رسم المصحف

¹⁰⁴ العيني، عمدة القاري، 25/1.

¹⁰⁵ العيني، عمدة القاري، 194/2.

¹⁰⁶ العيني، عمدة القاري، 245/11.

رسم المصحف أو ما يُسمى بالرسم العثماني نسبة إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه، وهو: "الوضع الذي ارتضاه الصحابة في عهد عثمان في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه"¹⁰⁷. هو من أحد شروط القراءة الصحيحة.

وقد تكلم الإمام العيني في بعض المواضع عن خط المصحف بما يُناسب سياق الكلام، مما يدل على اطلاعه على هذا العلم ومعرفته به.

مثال ذلك ما أورده في باب (أكل الربا وشاهده وكتابه) قال: "والربا اسم مقصور، وحكي مده وهو شاذ، والأصل فيه الزيادة، من ربا المال يربو ربوا إذا زاد، فيكتب بالألف، ولكن وقع في خط المصحف بالواو على لغة من يفخم، وعن الثعلبي: كتبه في المصحف بالواو، وأجاز الكوفيون كتبه بالياء بسبب كسرة أوله، وغلطهم البصريون في ذلك، وقال الفراء: إنما كتبه بالواو لأن أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحيرة ولغتهم الربو بمضموم، وصورة الخط على لغتهم، وزعم أبو الحسن طاهر بن غلبون أن أبا السماك قرأ: الربو، بفتح الراء وضم الباء ويجعل معها واؤا، وفي (شرح المهذب) أنت بالخيار وفي كتبه بالألف والواو والياء والراء بالمد والميم"¹⁰⁸.

وفي تفسير قوله تعالى: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} قال العيني: "قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم (الظنوننا) بالألف في الوصل والوقف لأن ألفها ثابتة في مصحف عثمان وسائر مصاحف أهل البلدان وعليه تعديل رؤوس الآي، وقرأ حمزة بغير ألف في الحالين الوصل والوقف، لأن العرب تفعل ذلك في قوافي أشعارهم ومصاريحها فتلحق الألف في موضع الفتح عند الوقف، ولا تفعل ذلك في حشو الأبيات، فحسن إثبات الألف في هذا الحرف لأنها رأس الآية تمثيلاً لها بالواقف، وكذلك الرسول والسبيل"¹⁰⁹.

وفي حديث أبي هريرة عن النبي قال: "لا يأتي ابن آدم النذر بشيء..."¹¹⁰، قال العيني: "قوله: (لا يأتي) بالياء في الأصول، وفي رواية أبي الحسن: (لا يأت)، بدون الياء كأنه كتبه على الوصل مثل قوله: {سندعُ الزبانية} [العلق: 81/96] بغير واو"¹¹¹.

¹⁰⁷ فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط2 (2003م)، 340.

¹⁰⁸ العيني، عمدة القاري، 199/11.

¹⁰⁹ العيني، عمدة القاري، 182/17-183.

¹¹⁰ العيني، عمدة القاري، 154/23، رقم: (6609).

¹¹¹ العيني، عمدة القاري، 154/23.

استشهد العيني هنا بكتابة المصحف في سورة العلق؛ لتعليل كتابة الحديث في رواية أبي الحسن بدون ياء.

17.2. الألفاظ الأعجمية في القرآن

أنزل الله تعالى القرآن كما قال سبحانه: "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" [الشعراء: 195/26]، ولكن التداخل والاشتراك بين اللغات أمر شائع ومعروف قبل عهد النبوة، وظهر في أشعار العرب في الجاهلية، وقد جاء في القرآن بعض الكلمات الأعجمية التي لم يُنكرها فُصحاء العرب وبلغاؤهم، وهم من يتصيدون الثغرة ليهاجموا القرآن الكريم، ولكن العلماء اختلفوا فيها.

وبهذا الشأن قال العيني في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ" [المزمل: 6/73] "اختلف العلماء، هل في القرآن شيء بغير العربية؟ فذهب بعضهم، إلى أن غير العربية موجود في القرآن: كسجيل وفردوس وناشئة، وذهب الجمهور إلى أنه ليس في القرآن شيء بغير العربية، وقالوا: ما ورد من ذلك فهو من توافق اللغتين، فعلى هذا لفظ، ناشئة، إما مصدر على وزن: فاعلة، كعاقبة من نشأ إذا قام، أو هو: اسم فاعل، صفة لمحذوف تقديره: النفس الناشئة"¹¹².

ويظهر من كلام العيني موافقته لأصحاب الرأي الثاني، ولذلك علل ما جاء في القرآن من ألفاظ أعجمية ببيان أوزانها ومعانيها.

وقد رجح هذا الرأي أيضاً الشافعي، وأبو عُبَيْدَةَ، والطَّبْرِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ، وابن فارس، والزركشي¹¹³.

ومن الألفاظ التي نقل العيني الاختلاف في عجميتها لفظ (جَهَنَّم) فقال: "في جهنم مذهبان لأهل العربية: أحدهما: أنه اسم أعجمي فلا ينصرف للعجمية والعلمية، قال الواحدي: قال يونس وأكثر النحويين: هي عجمية لا تنصرف للتعريف والعجمة. والآخر: أنه اسم عربي سميت به لبعدها قعرها جداً، ولم ينصرف للعلمية والتأنيث"¹¹⁴.

الخاتمة

وفي نهاية البحث أعرض أهم ما توصلت إليه من نتائج:

¹¹² العيني، عمدة القاري، 191/7.

¹¹³ الزركشي، البرهان، 287/1.

¹¹⁴ العيني، عمدة القاري، 264/8.

- 1- اهتمام العيني بعلوم القرآن، وكثرة إيراده لها في كتابه.
- 2- تعددت مصادر العيني وتنوعت، منها ما هو مفقود مما يرفع القيمة العلمية لكتابه.
- 3- اهتمام العيني بإيراد الأقوال المختلفة في المسألة الواحدة والرد عليها والتوفيق بينها بالدليل.
- 4- سعة علم العيني وضلوعه في علوم القرآن، ومن أبرزها: الناسخ والمنسوخ، وعلم الفواصل، وأسباب النزول وغيرها.
- 5- إن علوم القرآن لها ارتباط وثيق بفهم الحديث الشريف، فكثير من الأحاديث تحتاج لعلوم القرآن كالعامة والخاص والمطلق والمقيد وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ووجوه القراءات وغيرها ليُفهم المعنى الصحيح المراد من الحديث.

Kaynakça

- el-Beyhakî, Ahmed b. el-Hüseyn b. Ali b. Musa, *es-Sünenü'l-Kübrâ li'l-Beyhakî*. thk. Ahmed Muhammed Şâkir, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 3. Basım, 2003.
- el-Buhârî, Muhammed b. İsmail Ebû Abdullah el Buhârî el-Cu'fî. *Şaḥîḥu'l-Buhârî*. thk. Muhammed Züheyr İbn Nâsır en-Nâsır. Beyrut: Dâr-u İbni Tûki'n-Necât, 1. Basım, 1422.
- ed-Dârekutnî, Ali b. Ömer b. Ahmed b. Mehdi b. Mesud, *Sünenü'd-Dârekutnî*, thk. Şuayb el-Arnaût, Hasan Abdulmün'im Şelbî, Abdüllatif Harezullah, Ahmed Berhûm, Beyrut: Müessesetü'r-Risâle, 1. Basım, 2004.
- Gazzâlî, Ebu Hamid. *Cevâhiru'l-Kur'an*. thk. M. Reşid Rıza el-Kabbânî. Beyrut: Dâru İhyâi'l-'ulûm, 1990.
- İbn Âşûr, Muhammed Tahir. *Tefsîru't-tahrîr ve't-tenvîr*. Tunus: ed-Dâru't-tunusiyye li'n-neşr, 1984.
- İbn Atiyye, Abdulhak b. Gâlib b. Abdurrahman. *Maḥarreru'l-Vecîz fi Tefsîri'l-Kurân'il-'Azîz*, thk. Abdusselam Abduşşâfi Muhammed, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1. Basım, 1422.
- İbn Kesîr, İsmail b. Ömer b. Kesîr. *Tefsîru'l-Kur'âni'l-'azîm*. thk. Sâmi b. Muhammed Selâme, Riyâd: Dâru tayyibe li'n-neşr, 1999.
- Kattan, Menna'Halil. *Mebâhis fi Ulûmi'l-Kur'ân*. Kahire: Mektebetu Vehbe, t.y.

- el-Kurtubî, Muhammed b. Ahmed b. Ebî Bekr, *el-Câmî lî Ahkâmi'l-Kurân*, thk. Ahmed el-Berdûnî- İbrahim Etfiş, Kahire: Daru'l-Kütübî'l-Mısriyye, 2. Basım, 1964.
- Sehâvî, Muhammed b. Abdurrahman. *ed-Dav'ü'l-lami' li-ehli'l-karni't-tâsi'*. 6 Cilt. Beyrut: Mektebetü'l-Hayât, ts.
- Süyûtî, Celâlüddin. *el-İtkân fî 'ulûmi'l-Kur'ân*. thk. Merkezü'd-dirâseti'l-Kur'âniyye. 7 Cilt. Medine, t.y.
- et-Taberî, Muhammed b. Cerîr b. Yezîd, *Câmiu'l-Beyân fî Te'vili'l-Kur'ân*, thk. Ahmed Muhammed Şâkir, Beyrut: Müessesetü'r-Risâle, 1. Basım, 2000.
- Vâhidî, Ebü'l-Hasen Alî b. Ahmed b. Muhammed. *Esbâbü'n-nüzûl*. Beyrut: 'Âlemül-Kütüb, ts.
- Zerkeşî, Bedreddîn. *el-Burhân fî 'ulûmi'l-Kur'ân*. thk. Muhammed Ebu'l-Fadl İbrahim. Beyrût: Dâru'l-Ma' rife, 1957.
- Zürkânî, Muhammed. Abdülazim *Menâhilü'l-irfân fî 'ulûmi'l-Kur'ân*. Kahire: Matbaatü İsâ el-Bâbî el-Halebî ve Şürekâuh, t.y.